

للشيخ السياسي

نتائج اتفاق مونيخ

للدكتور يوسف هيكل

—

رأت دول وسط وشرق أوروبا ، بعد أن زالت السياسة التي بنيت عليها العلاقات الدولية ، أن تبني علاقاتها الدولية على أسس جديدة . فأخذت تلتف حول الریح طلباً لودء وانقاء لئتمته . لأنه ظاهر لها أن لا وجود مطلقاً للضمان المشترك ، ولا فائدة ترجى من التحالف مع الدول المقاومة للهتلر . لأن هذه الدول لا تقوى على مد يد المساعدة لحليفها . والدول القائلة بهذا القول تضرب مثل تشيكوسلوفاكيا لإثبات صحتها

وفي الواقع أن تشيكوسلوفاكيا نفسها قد غيرت سياستها الخارجية وأخذت تتقرب من ألمانيا . فأدلى الجنرال سيروفي رئيس حكومة براغ تصريحاً قال فيه : « إن مبادئ سياستنا الخارجية واضحة جلية ، وهي أن تكون علاقاتنا ودية مع جميع العالم لا سيما مع جيراننا . ويجب علينا التعاون معهم إذا أردنا أن نعيش بسلام وطأينة » . وقد ذهبت إحدى الجرائد التشيكية إلى أبعد من ذلك قائلة : « إن أوروبا الوسطى أزيلت من الوجود ، وإنه يجب علينا حتى في علاقاتنا التجارية نفسها ألا نعمل مع أية كتلة تضعنا ضد ألمانيا ، أو أن ندرك أن الهتلر والسنير موسوليني أقوى من فرنسا وبريطانيا ، فالهتلر يكسب المعارك معركة بعد معركة طبقاً للنظرية الواردة في كتابه كفاحي »

ولتحقيق سياسة التقرب مع ألمانيا ، وتنفيذاً لرغبة الهتلر ، استقال الدكتور بنيش من رئاسة الجمهورية التشيكوسلوفاكية في أكتوبر (تشرين أول) . وأنا في تدریس اللغة الفرنسية في مدارسها كلغة إجبارية ، واستمض عنها باللغة الألمانية . فرجبت ألمانيا بذلك ، وأخذت تساعد على إيجاد علاقات ودية بين الحكومتين وانتشار نفوذ ألمانيا في تشيكوسلوفاكيا يضع في يدها مفتاح باب الدانوب ، ويفتح أمامها باب أوروبا الشرقية والشرق الأدنى . وقد قال في ٤ أكتوبر (تشرين أول) لإرشيدالد سنكلر زعيم

١٢٠٥

الأحرار المعارضين « إننا سنعيش حتى نبكي اليوم الذي باعت بريطانيا فيه الحرية في أوروبا الوسطى ، وفتحت طريق توغل ألمانيا في أوروبا الشرقية »

وعملياً أخفت ألمانيا نفوذها في أوروبا الشرقية وفي الشرق الأدنى ، فزار الدكتور فونك وزير الشؤون الاقتصادية الألمانية بلفراد وأنقرة وسوفيا . فمقد مع حكومة يوغوسلافيا اتفاقية تجارية جديدة ، وقال بصدها إن ألمانيا في وضعية تمكنها من شراء نصف منتوج يوغوسلافيا ، ومن مساعدتها على إكثار منتوجها بتقديم الآلات والمال لاستثمار المعادن . وبالإضافة إلى ذلك فإن في إمكان ألمانيا دفع أسمار مرتفعة لما يتباعه ، والحفاظ على مستوى هذه الأسفار ، لأن نظامها الاقتصادي أقيم بصورة لا تؤثر عليه الأزمات . وقد أكد الدكتور فونك أن ألمانيا الآن أعظم بلاد العالم إنتاجاً بفضل نظامها السياسي . وأضاف قائلاً أن ليس في الإمكان تفريق السياسة الاقتصادية عن العامة وقد لقي الدكتور فونك استقبالا حاراً في أنقرة ، ونجح فيها نجاحاً باهراً ، إذ عقد اتفاقاً مع الحكومة التركية أقرضتها ألمانيا بمقتضاه ١٥٠ مليون مارك (ما يقرب من ١٣ مليون جنيه إنجليزي) لشراء الآلات الصناعية والأدوات الحربية ، على أن تسدد بعد عشر سنوات . وقد أدهش ذلك الاتفاق الدوائر الدبلوماسية ، لأنه في مايو السابق فقط اقترضت الحكومة التركية ستة عشر مليوناً من الجنيهات من الحكومة البريطانية

وبعد تركيا زار الدكتور فونك بلغاريا وتباحث مع حكومتها للوصول إلى تحسين العلاقات الألمانية البلغارية التجارية . وقد قبل دعوة رومانيا واليونان لزيارة بلادها ، وفي نيته زيارة إيران وأفغانستان ، غير أنه أرجأ ذلك إلى وقت آخر . ودول البلقان ترحب بتحسين علاقاتها التجارية مع الریح ، لأنها تعتقد أن تجزئة تشيكوسلوفاكيا أزال كل مقاومة للمصالح الألمانية في أوروبا الشرقية . والعلاقات التجارية النيمة تولد الصداقة السياسية ، والنفوذ الاقتصادي يوجد النفوذ السياسي

وقد صرح الهتلر فونك في حديث له مع مندوب جديدة « برلين نيتونغ » « أن في جنوب أوروبا الشرق وآسيا الصغرى كل شيء يحتاج إليه ألمانيا تقريباً . ولهذا لا يمكن أن توجد دولة

وفي مونيخ انهارت سياسة سلامة فرنسا ، فزالت قوتها في تشيكوسلوفاكيا وخسرت حلفاءها وأصدقاءها في بلاد البلقان وشرق أوروبا . فكانت فرنسا الدولة الأولى التي تكبدت أكر الخسائر ولحق بها أعظم الأضرار من جراء اتفاق مونيخ . وكان هذا الاتفاق كان موحهاً ضدها . وزيادة على ذلك فقد حاول المهر هتلر في مونيخ تحقيق أغراضه عليه ، وهو إبعاد بريطانيا عن فرنسا لئلا تم عزلتها وإزول سلطانها الدولي . وهو لم يواجه هذه المسألة وجهاً لوجه ، بل أنهاها من طريق غير مباشر ، فوقع السر تشمبرلين نصرياً مفاده : « إنهما ينظران إلى اتفاق مونيخ وإلى الاتفاق الإنكليزي الألماني البحري ، كرمز إلى رغبة شعبيهما بالأحزاب قط الواحد الآخر . وإنهما متأكدان على أن التنازول سيكون الطريقة المثبتة في حل المسائل الأخرى التي تتعلق ببلادهما » وتقوية لهذه السياسة ألقى السير توماس أنسكيب ، وزير الدفاع الوطني خطبة في ١٢ أكتوبر (تشرين أول) قال فيها : « إنني أعتقد أننا سائررون في الطريق المؤدية إلى إنشاء علاقات ودية مع الشعب الألماني العظيم في وسط أوروبا . وأنهم هدية نستطيع تقديمها إلى عالم مترعزع أهوج هو السلام بيننا وبين ألمانيا » . ومن شأن هذه السياسة تمكين المهر هتلر من تحقيق مطالبه . لأن القوة الوحيدة في أوروبا التي تجعل المهر هتلر يفكر قبل العمل على تحقيق مطالبه الواسعة هي جيش فرنسا العظيم تسنده القوى البريطانية ، وتفريق هاتين القوتين بمضهما عن بعض يعوق الجيش الفرنسي عن العمل ، ويمكن المهر هتلر من تحقيق ما يريد وما يريد المهر هتلر أمر عظيم خطير ، يشرحه « كتاب النازي المقدس » وبجملة جملة منه إذ يقول زعيم ألمانيا « إنه ليس من الضروري ، مهما كانت النتائج ، اللجوء إلى الحرب ، إذا أريد حق الوصول إلى السلام . وفي الحقيقة أن الفكرة الإنسانية والانثائية ربما تكون جيدة في اليوم الذي يقهر فيه الرجل المتفوق على الجميع ، العالم ويسود ويصبح وحده سيد الدنيا . الحرب أولاً وربما بعدها السلام » .

وهذه الجملة واضحة جلية ، ترى أنت المهر هتلر يطمح إلى سيادة العالم بسيادة أوروبا فقط . وقد مكن اتفاق مونيخ الذي كان أعظم نصر حازه المهر هتلر زعيم ألمانيا من أن يكون الرجل

أخرى قادرة على أن تشتري منها ما تشتريه ألمانيا . ونظراً لأهمية نهر الدانوب لجنوب أوروبا الشرق ، يجمل من هذه البلاد منطقة اقتصادية ممتدة من بحر الشمال إلى البحر الأسود ، والدول القائمة فيها تستطيع أن تكون متممة لإحداها للأخرى » . وهذا التصريح يرمي إلى تحقيق الحلم الألماني السابق للحرب العالمية ؛ حلم « همبرك — بغداد »

وتقول جريدة (اسن ناشونال زيتيغ) في عددها الصادر في ١٢ أكتوبر (تشرين أول) إنه « إذا أصرت انكلترا وفرنسا على مواصلة جهودهما للاستيلاء على جانب من التجارة تعدد ألمانيا بحق أنه من نصيبها فإنها ستكون بعد عام أو عامين ، أي بعد أن تم تحصيناتها على الحدود الغربية ، في مركز يصاعدها على أن تعلن أنها وحدها صاحبة النفوذ الاقتصادي في جنوب شرق أوروبا »

هذا ، ولا تنحصر نتائج اتفاق مونيخ في علاقة ألمانيا مع دول جنوب شرق أوروبا ، بل تعداها إلى وضعية الدول الكبرى ومجرى سياستها

وفي مونيخ تلاشت عصبة الأمم ، وذهبت البقية الباقية مما كان لها من تدخل في الأزمات الدولية ؛ وتحققت فكرة السنيوز موسوليني من حل المشاكل الدولية بواسطة « مؤتمر رباعي » ؛ تلك الفكرة التي لم توافق عليها بريطانيا وفرنسا عام ١٩٣٣ ، بل أصراً حينئذ على وجوب حل الخلافات الدولية ضمن دائرة عصبة الأمم . وفي مونيخ عقد المؤتمر الرباعي لحل المشكلة التشيكوسلوفاكية ، دون إعلام عصبة الأمم به ، ودون اشتراك روسيا فيه ، فكان ذلك نصراً أدبياً سياسياً للسنيوز موسوليني اتخذ منه دليل كبير على بعد نظر زعيم إيطاليا وعلى قدرته السياسية في إيجاد الأسس لتسوية المشاكل الأوروبية

وفي ذلك المؤتمر تحققت رغبة هتلر وموسوليني في عزل روسيا عن شؤون أوروبا فأصبحت روسيا في عزلة سياسية لها نتائجها السيئة في أوروبا . لأن من شأن هذه العزلة إضعاف موقف فرنسا الدولي ، وبالتالي إضعاف مراكز بريطانيا العظمى ، مما يشجع المهر هتلر على السير في تحقيق مطالبه الواسعة

من صاحب العصور إلى صاحب الرسالة

— ❦ —

أخي الأستاذ الزيات :

السلام عليك ورحمة الله ، وبعد فإني أحمد الله إليك وأستعينه وأسأله لك التوفيق والسداد . أيت أيها الرجل إلا كرمًا من جميع نواحيك ، فأكدت تستقبل العام السابع من عمر « الرسالة » حتى عُدت عليّ بفضل من ثنائك وحسن ظنك ، فذكرت « العصور » ثم أثنت فأغنيت

لقد وافقني كلتيك ، وأنا بعد أنفض عن يدى غبار « العصور » وأنخف من أنقالها التي حملتها راضياً غير كاره ، لأنقلب إلى هذه الغرف العزيرة التي نشأت في حجور الشيوخ من مكانها أستخبرهم علم ما أجهل ، وأستنبهم أخبار ما مضى ، لأستوحى الظن فيما يستقبل ، وأجدد بعمادى قوتهم قوة النفس التي لا تهدأ ولا تنام لا بد من كلمة — أيها الشيخ الجليل — وقد كان الصمت أولى وأحب إليّ . لا بد من كلمة أعتذر به للذين استقبلوني بفرحة الحب أمتع باللقاء على غير ميعاد . فأنت تعلم أني يوم عذرت على إصدار « العصور » لم أكن قد أعددت لها من مال إلا ما ادخرته في نفسي من جهد أعوام طالت في معاناة العلم والأدب ، وبقيّة من خلق ضننت بها أن تذبح في أطرافها ونواحيها مبهزعات العصر الحديث التي صرّفت الأخلاق في وجوه النى والضلال ، وأطلقت دنيا الفرائث من عقال الشرائع ، وأرسلتها ترمي حصى

الأول في أوروبا والتفوق على جميع ساستها ؛ ومن أن يبدأ في نشر نفوذه عليها وسيادته لها .

يستغرب الرء تسليم فرنسا وبريطانيا العظمى في مونيخ ، ويجعله يتساءل كيف سلمت فرنسا بمعقلها في وسط أوروبا ، ولتفوذها السياسى في جنوبي أوروبا وشرقيها ؟ فهدمت بذلك ما بنت خلال العشرين سنة الماضية ، وخسرت حلفاء وأصدقاء ، وسهلت وضعهم تحت التفوذ الألمانى ! وكيف قبلت بريطانيا اختلال التوازن الدولى ؟ ذلك التوازن الذى كانت دائماً وأبداً تبذل الجهود وتدخل الحروب في سبيل المحافظة عليه .

هذا ما نبينه في المقال المقبل .

برسيف هيكيل

أبي الله ورسوله أن يكون مرعى لمن آمن بالله واليوم الآخر ولكن لا بد من مال مكسوك معترف به ، مصدق على الاعتراف به من « محافظ البنك الأهلى » ، وإن قليل ما عندى من هذا المال لا يغنى غناه في عمل أوله استهلاك بغير نتاج وأنت أخبر بهذا الأمر . فلم يبق إلا الصديق الذى يعين على نوايب الحق ... فبدأنا بإصدار « العصور » يعولها الجد من قبلى ، والعون من قبل الأصدقاء الكتاب من أصحاب مذهبنا ، والمدد من « جيب » الصديق الذى أبدى بشاشته ، واستظهرها بماجل البر ، وسرنا على اسم الله . فما كان إلا كالا ولا حتى قلت كما قال الأول :

سعت نوب الأيام بيني وبينه فأقلن منّا عن ظلوم وصارخ فإني وإعدادى لدهرى « محمداً » ككتمس إطفاء نار بنافخ وأيت أن أخفض عن نفسى أو أرد غلواءها ، فرددت المسأل إلى صاحبه غير منقوص ولا مهتضم . وقلت إن أمراً قضاءه الله لا بد له من تمام وأجل ، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . وخير الأمر أن ألبأ إلى الله ثم أستعين بما عندى على قضاء الحق الذى يقتضيه ما أقررت به على نفسي ، وما أقررتها عليه في كلمة العدد الأول من « العصور » . فلم أبخل ولم أراجع ، وأقدمت على إصدار العدد الثانى مستبشراً مؤملاً راجياً معتمداً على تقى بالله ، ثم تقى بحسن التقدير الذى لقيته . فلم يلبث أن لقي العدد الثانى من « العصور » حفاوة الناس في كثير من بلاد العربية ؛ ولكن هذه الحفاوة السبئية في بيع مجلة — تكاليفها أكثر من دخلها بهذا البيع — لا يمكن أن تكون هي الرقبة التي تجذب إلى رقاب المال من كهوف « البنك » فأجوبها وأروضاها وأنصرف فيها تصرّف الناس فيما هم به « ناس » ! !

وقلت : عسى أن يقضى الله لأمر ضاق بالفرج ، وتوجهت بقلى إلى الله ، وبوجهى إلى من أوسم فيه صمة « الخزانة » المدة لاحتجان المال . ولكنى وجدت القفل بعد القفل على الخزانة ، وافتقدت المفتاح الذى يتسنى له كل مغلق . إن هذا المفتاح ليس عندى ، ولست أملكه ، وما أحسبني أرتضى — بعد أن جرّبت — أن أملكه أو أحوزه . إنه لا يملكه إلا من قدم رهينة ، وأخلّق لا يعترف به في باب الرهائن ، ولست أملك غيره ؛ فلا رهينة ، أى لا قرض ولا معة . وإنه لا يملك المفتاح بعد إلا اللص الذى يلين له ما أعضل من قفل غلق